التَّشكيل السَّردي في شعر عمر ابن أبي ربيعة، قصيدة "قِفَا نَسْتَخْبِرُ الطَّلَلاَ " أنموذجا.

Narrative formation in the poetry of Omar ibn Abi Rabia, the poem "Stand up and ask the ruins " as an example.

أحلام نقاط / د. حسن دواس[2] *
Ahlem negat[1] / Dr. hassen.douas[2]
مخبر التُّراث الأدبي الجزائري الرَّسمي والهامشي.
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)
University of 20 August 1955 Skikda, (Algeria)
a.negat@univ-skikda.dz[1] / hassen.douas@gmail.com[2]

تاريخ الإرسال: 2024/09/15	تاريخ القبول: 2024/10/26	تاريخ النشر: 2024/12/02

مُلخَّصُ البَحث

يعدُّ الشِّعر العربي القديم من أروع أشكال التَّعبير الأدبي في التُّراث العربي، فهو سجل تاريخي لتوثيق الأحداث واللِّسان المعبِّر عن مغامرات الشَّاعر وقصصه المختلفة، بداية من البكاء على الأطلال إلى وصف الرِّحلة فوصف مغامراته العاطفية مع النِّساء وغيرها.. وكل هذا في قالب سردي شعري تميِّزه الأحداث المختلفة الأخبار والوقائع، فالشَّاعر الفذ آنذاك من يستطيع وصف وقائعه ومجتمعه والتَّعبير عنها شعرا في قالب قصصي حكائي طريف، بيد أنَّه كان بعيدا عن التَّنظير والتَّقعيد الفني للقصَّة، ويعدُّ الشَّاعر عمر بن أبي ربيعة من روَّاد السَّرد الشِّعري في عصره، وعليه نتناول في هذه الورقة البحثية دراسة التَّشكيل السَّردي في قصيدته الموسومة بـ"قفا نستخبر الطَّللا"، محاولين الإجابة على الأسئلة الآتية: إلى أيِّ مدى تجلَّت عناصر السَّرد في قصيدة الشَّاعر؟ وهل استوعب قالب الشِّعر تقنيَّات السَّرد في متنه؟.

الكلمات المفتاحيَّة: الشِّعر، السَّرد، التَّشكيل السَّردي، عمر ابن أبي ربيعة.

Abstract :

Ancient Arabic poetry is one of the most wonderful forms of literary expression in the Arab heritage, as it is a historical record documenting events, and expressing the poet's adventures and various stories, from crying over the ruins to describing the journey, describing his emotional adventures with women

* أحلام نقاط: a.negat@univ-skikda.dz

and others. This is all in a poetic narrative form characterized by different events, news and facts, as the outstanding poet at the time who could describe his facts and society and express them poetically in a storytelling form, but he was far from theorizing and technical definition of the story, and the poet Omar ibn Abi Rabia is one of the pioneers of poetic narrative in his time. Therefore, in this research paper, we address the study of narrative formation in his poem entitled "Stand up and ask the ruins", trying to answer the following questions: To what extent are the elements of narrative in the poet's poem, and did the poet's form accommodate the techniques of narrative in his body?.

Keywords: Poetry, Narrative, Narrative formation, Omar ibn Abi Rabia.

المقدمة :

يحتلُّ الموروث الشِّعري العربي القديم مكانة كبيرة في الثَّقافة العربيَّة نظرا لمركزيتَّه وهيمنته المطلقة على السَّاحة الأدبيَّة، حيث يولد الشَّاعر في بيئته الصَّحراويَّة شاعرا بالفطرة والسَّليقة، معبرّا عن آلامه وأحزانه وطموحاته شعرا، فالشِّعر ديوان العرب وسجل تاريخهم، إلاَّ أن هذا الشِّعر لا يخلُ من قصص ووقائع وأحداث، فالمتأمِّل في معلَّقات الشِّعر الجاهلي يلمس ملامح القصِّ والسَّرد الحكائي للأحداث والمغامرات التِّي يعيشها الشَّاعر، حيث يكلِّم الأطلال ويبكيها في صورة تراجيدية يستذكر فيها ماضيه ويتخيَّل ردَّها وعناقها، كما يصف الأحداث التِّي صادفته في رحلته وتغلُّبه على الوحوش في صورة عجائبيَّة، لينتقل إلى وصف النِّساء التِّي تربطه بهنَّ علاقات عاطفيَّة، كما نجد في أشعار "امرؤ القيس" الَّذِي عرف عنه علاقاته المتعدِّدة مع النِّساء، فعناصر السَّرد بهذا الشَّكل متوفِّرة من أحداث وشخصيَّات وحوار وعقدة متأزمّة ترنو إلى الفكاك زادت النص الشعري القديم شعريَّة و جمالاً.

بيد أنَّ الشَّاعر لا يهدف للسَّرد والقص بقدر ما يهدف إلى تصوير واقعه الذَّاتي والجمعي والتَّعبير عن أحاسيسه المختلفة ومشاعره، ليكون بذلك السَّرد عنصرا فعَّالا داخل بنية القصيدة العموديَّة، إلاَّ أنَّ هاته العناصر لم تكن على شاكلتها اليوم من فنيَّة وتقعيد وتنظير، فالسَّرد ظاهرة جماليَّة مختلفة زادت القصيدة القديمة شعريَّة وتميُّزا نظرا لامتزاجها بالحكايات والحقائق والأساطير مما أدَّى إلى تعدُّد المعاني وتوسُّع الرُّؤى.

فالسَّرد الشِّعري أو القصَّة الشِّعرية هي مزاوجة بين فنَّي الشِّعر والقصَّة، أي هي عمليَّة امتزاج كلّي بين الشِّعر كقالب وآليَّات القص التِي تهدف للمراوغة وتحقيق الشِّعرية للقصيدة القديمة والتِي تلتمس اللغة السَّردية دون المساس بخصائصها كقصيدة عمودية.

ويعدُّ الشَّاعر "عمر بن أبي ربيعة" من روَّاد السَّرد الشِّعري في عصره الأموي، كون قصائده ومقطوعاته المختلفة قصائد ناضجة مقارنة بما سبقها، إذ تضمَّنت أشعاره الآليَّات الأساسيَّة للقصِّ والسَّرد، حيث كان موضع جدل في عصره، إذ تفرَّد شعره بمميِّزات انبهر بها النُّقاد القدامى من ناحية أسلوبه القصصي ولغته السَّردية داخل شعره.

سنحاول في هاته الورقة البحثيَّة دراسة التَّشكيل السَّردي في قصيدة "قفا نستخبر الطَّللا" لـ"عمر بن أبي ربيعة"، كرائد للسَّرد الشِّعري في العصر الأموي وذلك بالوقوف على عناصر وآليَّات السَّرد الموظَّفة في قصيدته محاولين الإجابة على مجموعة من التَّساؤلات المختلفة: إلى أيّ مدى تجلَّت عناصر السَّرد في قصيدته؟ وهل استوعبت القصيدة هاته الآليَّات؟ إلى أيّ مدى حافظت القصيدة الشِّعرية على خصوصيَّتها كقصيدة عمودية؟

وككلِّ دراسة تحتاج إلى منهج مناسب يضبط مسارها ويحقِّق أهدافها، وقع اختيارنا على المنهج البنيوي "وهو منهج نقدي داخلي يقارب النُّصوص مقاربة محايثة، تتمثَّل النَّص بنية لغويَّة متعالقة ووجودا كليًّا قائما بذاته مستقلاً عن غيره"[1]، ونظرا لبنية النَّص التِي تزاوج بين الشَّعر والسَّرد، استوجب علينا الوقوف داخل بنياتها وتعالقاتها الدَّاخلية التِي شكَّلت القصيدة بشكلها النِّهائي المستقل، إضافة إلى اعتماد آليَّتي الوصف والتَّحليل للأحداث والوقائع، ولا يغيب عن ذهننا أنَّ مقاربة النُّصوص القديمة أو التُّراث العربي القديم وفق المناهج الحداثيَّة صعب التحقُّق والإحاطة الكاملة، نظرا لاختلاف الموروث الفكري عن العصر الرَّاهن واختلاف الآليَّات المنهجيَّة، فالنَّقد القديم وآليَّاته تختلف عن النَّقد الحديث ومناهجه، وقبل الغوص في لجِّ دراستنا ارتأينا الوقوف بدايةً على مفهوم السَّرد ثمَّ مفهوم التَّشكيل السَّردي.

1. مفهوم السَّرد:

يُعدُّ السَّرد شكلا من أشكال التَّعبير الإنساني عن طريق اللُّغة، وقد احتلَّ مكانة كبيرة في الدِّراسات النَّقديَّة الحديثة، خاصَّة مع الشَّكلانيِّين الرُّوس الذِين انطلقوا من دعائم البنويَّة التِي تهتمُّ ببنية النَّص الدَّاخليَّة، بغية فهم علاقاتها البنائيَّة فتعمَّقوا في مجال الحكي وآليَّاته، إذ يعدُّ "تزفيتان تودوروف" مؤسِّس مصطلح علم السَّرد من خلال كتابه "نظرية الأدب" عام 1965، حيث أسَّس علما قائما بذاته ويقدِّم مفهوما للسَّرد يقول:" إذا كانت جميع القصص تتشابه في رواية القصَّة الأساسيَّة، فإنها تختلف بل تصبح كلُّ وجبة فريدة من نوعها على مستوى السَّرد، أي طريقة نقل القصَّة وهنا ندخل في حسابنا مسائل لتعيين التَّأليف أو الأسلوب،

وهكذا تصبح القصَّة نتاجا أدبيًّا يبلغ حدَّ الأصالة والوجدانيَّة"[2]، وهو يرمي بهذا القول إلى أنَّ السَّرد هو الطَّريقة التِّي تروى بها القصَّة.

وهذا ما تبنَّاه "رولان بارت" حيث انطلق من البنوية اللِّسانية في تحليل السَّرد، لينتقل إلى مفهوم الشِّعرية والنَّقد الحواري، إذ يعرِّف هذا الأخير السَّرد بقوله: " يمكن أن يكون السَّرد كلاما ملفوظا شفويا أم مكتوبا، عبر الصُّورة ثابتا أو متحرِّكا عبر الإيماءة وعبر مزيج منظَّم من كلِّ هذه المواد فالسَّرد حاضر في الأسطورة، الخرافة، المثل، الحكاية، القصَّة القصيرة، الملحمة، التَّاريخ، التراجيديا، المأساة، الملهاة، المسرح الإيمائي، اللَّوحة الملوَّنة، السِّينما، الحدث والحادثة"[3].

أمَّا "جيرالد برانس" فيرى أنَّ:" السَّرد هو الحديث أو الإخبار، كمنتج وعمليَّة وهدف وفعل وبنية وعمليَّة بنائية لواحدة أو أكثر من واقعة حقيقيَّة أو خياليَّة، من قبل واحد أو اثنين أو أكثر، غالبا مايكون ظاهرا من السارِدين وذلك لواحد أو اثنين أو أكثر من المسرود لهم"[4]. ولا يغيب عن ذهننا اهتمام النقَّاد العرب والمناهج الحداثيَّة بقضيَّة "السَّرد" كظاهرة نقديَّة انبروا لها بالدِّراسة والتَّمحيص، يعرِّفه "عبد المالك مرتاض يقول: "السَّرد ميثاق تنشط داخله أربع مصطلحات: المؤلِّف، القارئ، الشَّخصيَّة، اللُّغة، وبمجرَّد أن ينقص عنصر واحد من العناصر الأربعة يختلُّ النِّظام"[5]، إنَّ مرتاض يضع شروطا أساسيَّة لتحقِّق السَّرد، وهي المؤلِّف، القارئ، الشخصيَّة، واللُّغة، وهي دعائم أساسية لا يخلُ أيُّ سرد منها، فالشَّخصيَّة تقوم بتمثيل العمل السَّردي وتنطق بلسانه ولسان أحداثه المختلفة، واللُّغة هي المعبِّرة عن هذا العمل من خلال الأحداث والوقائع، أما النَّاقد "سعيد يقطين" فيرى أنَّ السَّرد" هو نقل الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور وجعله قابلا للتَّداول، سواءً كان هذا الفعل واقعيا أو تخييليا وسواءً تمَّ التَّداول شفاها أو كتابة"[6]، أي أنَّ السَّرد عند النَّاقد "سعيد يقطين" ينطلق من مقولة الصِّيغة التِّي توظَّف في تقديم المادَّة الحكائيَّة، في حين يرى "حميد الحميداني" أنَّ "الحكي يقوم على دعامتين أساسيَّتين:

أولاهما: أن يحتوي على قصَّة ما تضمُّ أحداث معيَّنة، وثانيها: أن يعيِّن الطَّريقة التي تحكى بها تلك القصة، وتسمى هذه الطَّريقة سردا، ذلك أنَّ قصَّة واحدة يمكن أن تُحكى بطرق متعدِّدة "[7]، ولهذا السَّبب يعتمد على السَّرد في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي، كما يبيِّن أنَّ السَّرد يتضمَّن بالضَّرورة قصَّة تروي أحداثا بصيغة معيَّنة وكل قصَّة تُروى بأنماط مختلفة.

2. التَّشكيل السَّردي:

ويعرِّفه النَّاقد "محمد صابر عبيد" بقوله:" التَّشكيل السَّردي هو عمليَّة احتواء وتمثُّل لكل عناصر السَّرد ومكوِّناته، في الدَّرجة التِّي تكون فيها هذه العناصر والمكوِّنات ذات كفاءة عالية لإنتاج جماليَّات السَّرد، من خلال الكون النَّصي، وقد بلغ بين يدي التَّشكيل أبلغ مراحل التَّعبير والتمثُّل والتَّصوير في منطقة القراءة"[8]،

هذا المفهوم يوحي بما يعرف بالبنية والشّكل وتظافر الجزئيّات التي تكوّن نموذج الجنس الأدبي وتشكّل بناء النّص السّردي في صورته النّهائية وأبعاده الجماليّة.

3. التّشكيل السّردي في قصيدة " قفا نستخبر الطّللا":

حفل النّص الشّعري العربي قديما بالسّرد الشّعري، حيث تغنّى النّص بالعناصر القصصيّة التّي كانت نتيجة تأثّر وتفاعل الشّاعر مع محيطه ومجتمعه، وخاصّة تقنيّة الحوار على لسان الشّاعر وشخصيّاته حيث أنتج سردا شعريا فنيا وجماليا، برزت بذرته منذ العصر الجاهلي، ونضجت صورته مع "عمر بن أبي ربيعة" الشّاعر الأموي الذي امتاز شعره بعناصر القصّة، وخاصّة تقنيّة الحوار إذ يتضمّن أغلب شعره الغزلي عناصر السّرد من حدث وحوار وشخصيّات تمثيليّة تجسّد الأحداث والوقائع ضمن زمان ومكان محدّدين، كما غاص في عوالم المرأة ونفسّيتها وامتلك لغتها.

1.3. الحدث:

يشكّل الحدث النّواة الأساسيّة لأيّ عمل سردي، إذ يعدُّ عموده الفقري الّذي يشكّل نسيجه وبنيته، حيث تتوفّر في المتن السّردي أحداث أساسيّة لا يمكن الاستغناء عنها في مسار تطوّر الأحداث وتحرّك الشخصيّات، وأحداث ثانوية أخرى أقل أهميّة إلاّ أنّها تساعد في توسيع الرّؤية وإيضاح مآرب الوقائع، كما يرتبط الحدث ارتباطا وثيقا بالشّخصية إذ هي من تمثّله وتفعّله داخل المتن السّردي سواء كانت أحداث درامية أو سعيدة، والحدث هو" الانتقال من حالة إلى أخرى في قصّة ما، ولا قوام للحكاية إلا بتتابع الأحداث واقعيّة كانت أو متخيلة وما ينشأ بينها من ضروب التّسلسل أو التّكرر"[9]، والحدث يتشكّل إمّا وفق خطيّة زمنية مسترسلة، أو عن طريق اتّخاذ العقدة منطلقا للعودة إلى الماضي ووقائعه، أما الطريقة الحديثة وهي الغالبة على نمط السّرد، فهي الانطلاق من نهاية الأحداث إلى بدايتها والبحث عن أسبابها وكنه عقدتها.

وفي القصيدة العمريّة "قفا نستخبر الطّللا " يفتتح الشّاعر الرّاوي سرده الشّعري بمقدمة طلليّة يناجي فيها الرّسوم قائلا:

يَا صَاحِبيَّ قِفَا نَسْتَخْبِرُ الطَّلَلَا عَنْ بَعْضِ مَنْ حَلَّهُ بِالأَمْسِ مَا فَعَلَا
فَقَالَ لِي الرَّبْعُ لَمَّا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ البَيْنَ فَاحْتَمَلَا[10]

إنّ استخبار الطّلل سؤال وجواب حكاية ورواية، إذ يقف شاعرنا رفقة صحبه باكيا متحسّرا على رحيل محبوبته "ثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية"، يسائل الطّلل البالي تملّكه مشاعر الحزن والخوف والاضطراب، والبكاء على الأطلال واستوقاف الصّحب تقليد شعري، درج عليه شعراء العرب منذ العصر الجاهلي، وأشهر اقوالهم قول "امرؤ القيس" في معلقته "قفا نبك".

ويكمن الحدث هنا برحيل محبوبته "ثريا" وانتقالها إلى مصر، إذ بلغه نبأ زواجها من "سهيل بن عبد العزيز" ، فقصد منزلها متبيّنا صحّة الخبر فوجدها قد رحلت فخرج في إثرها وقد كان بينهما هجر، ولمّا أدركها وصل إلى خيمتها فطلبت "ثريا" من حاضنتها أن تكلّمه وتستفهم منه ما حدث، وعند الرّحيل أنشأ مقدّمته الطّللية حيث أجابه الطّلل أنّ الأحبّة قد رحلوا عن المكان، ويعدُّ حدث الرّحيل الحدث المحوري في هاته القصيدة ثم تتطوّر الأحداث مع شاعرنا السّارد وهو بين الحلم والواقع بين مصدّق ومكذّب لواقعه المرّ منطلقا من ذكريات الماضي مستنكرا الحاضر، ثم ينتقل إلى وصف محبوبته ووصف هيأتها فهي بيضاء البشرة ذات شعر أسود طويل مسترسل على الظّهر.

يقدم لنا شاعرنا مشهداً من مشاهد الصّبابة المؤلمة، بعد رحيل المحبوبة ولحاقه بها حيث تتأزّم الحالة بين الشّاعر الرّاوي ومحبوبته، في وضع متأزم إنّها العقدة وما الحل؟، وقد تمكّن حب عمر من قلب الثريا وهي الآن زوجة رجل آخر ومرتبطة أزليًّا به، تقول الثريا لصديقتها بحذر شديد مخافة أن يسمعها أحد وهي تشكو حبّها وألم فؤادها تتوسّل الحلّ منها:

قَالَتْ عَلَى رِقْبَةٍ يَوْمًا لِجَارَتِهَا: مَا تَأْمُرِينَ؟ فَإِنَّ القَلْبَ قَدْ ثُبِلَا
وَهَلْ لِيَ اليَوْمَ مِنْ أُخْتٍ مُوَاسِيَةٍ مِنْكُنَّ، أَشْكُو إِلَيْهَا بَعْضَ مَا عَمِلَا؟[11]

لتجيبها صديقتها بوجوب التستُّر وضرورة التّعفّف والحياء وتجنُّب الإفصاح عن مثل هاته المشاعر، كونها متزوّجة، لتطمئنها بأنها ستستطلع مشاعره وتفهم حقيقة أخبار الوشاة الّذين سببوا الهجر بينهما.

ثم تبدأ الأزمة بالانفراج عند صدّ الشّاعر لمحبوبته، حيث غضب غضبا شديدا منها مفندا أقوالها مؤكّدا أنّها تقدّم حججا واهية على فعلتها، وأنّ قلبها متقلّب، وأنّ كلّ تلك الأحاديث جاءت على غير حقيقتها، وهي تعلم حيل ومكائد الواشي المبطّن بالعداوة ، وهي حبكة متصاعدة انجرّت عن أحداث متماسكة: خصام، رحيل، استبيان حقيقة، ثم خضوع للواقع أي سبب ونتيجة، وهي أحداث متتابعة خاضعة للحتميّة والسببيّة من بداية القصة إلى نهايتها.

2.3. الحوار:

عرفت تيمة الحوار في الشّعر العربي القديم، إذ ضمّنها الشّاعر أشعاره القصصيّة كعنصر محوري يحرك الشخصيات التي بدورها تتحرك ضمن زمان ومكان معلومين، في محاورة الأشخاص والأماكن وحتى مع نفس الشاعر ذاتها في مونولوج داخلي، ويعرف الحوار بأنه:" تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر، كما أنه نمط تواصل حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي، كما يستعمل بكثرة جمل استجوابية (سؤال، جواب)"[12]

ويعدُّ" عمر بن أبي ربيعة" من الشُّعراء الّذين تفرَّدوا في الحوار، إذ جعله قوام فنِّه الشِّعري بأسلوب بسيط وبليغ، فهو شاعر الغزل والجمال، إذ تغزَّل بالنِّساء وحاورهنَّ ووصف جمالهنَّ وأخلاقهنَّ، كما تغزَّلن به ومدحنه في محاورات تشبيبيَّة، فارتبط أسلوبه البسيط في الحوار بوصف الأحداث والتعبير عنها سرداً، ففي قصيدة "قفا نستخبر الطَّللا"، يفتتح الشاعر محاورته السَّرديَّة بمساءلة الطَّلل يقول:

يَا صَاحِبَيَّ، قِفَا نَسْتَخْبِرُ الطَّلَلَا عَنْ بَعْضِ مَنْ حَلَّهُ بِالأَمْسِ ما فعلا ؟
فَقَالَ لِي الرَّبْعُ، لَمَّا أَنْ وَقَفْتُ بِهِ: إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ البَيْنَ فَاحْتَمَلَا
وَخَادَعَتْكَ النَّوَى حَتَّى رَأَيْتَهُمْ فِي الفَجْرِ يَحْتَثُّ حَادِي عِيرَهُمْ زَجَلَا[13]

يقف الشَّاعر موقف تحسُّر على منزل المحبوبة التيّ رحلت، حيث يفرغ شحنة من الحزن والألم، إنَّ هاته المحاورة المباشرة مع الطَّلل تفريج للنَّفس وإزالة للهموم ومسحة لحرقة الوجد، إنَّه جانب من التَّنفيس حيث يتخيَّل الطَّلل مجيبا له بتلك الحقيقة المرَّة ، وكأن شاعرنا يقتسم همومه مع الطَّلل البالي، الذي يحسُّ به ويقف موقف المواسي إلى جانبه، كما توفَّرت في القصيدة جمل حواريَّة مختلفة بين مباشرة وغير مباشرة، ومن محاورة الطَّلل ينتقل شاعرنا إلى الحوار الّذي دار بين الثُّريا وصاحبتها: قَالَتْ عَلَى رِقْبَةٍ يَوْمًا لِجَارَتِهَا مَا تَأْمُرِينَ/ هَلْ لِي اليَوْمَ مِنْ أُخْتٍ مُوَاسِيَّةٍ، وهي صيغ قول منقولة غير مباشرة على لسان ثريا وصاحبتها، منح فيها شاعرنا حرية التعَّبير والتَّواصل بين الشخصيَّات المتحاورة في قصيدته، مما جعل الحوار في تفاعل مستمر.

لتجيبها صاحبتها في نفس السِّياق وترد الثريا: إِقْنِي حَيَاءَكِ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ/ لَا تُظْهِرِي حُبَّهُ/ قَالَتْ لِلَّتِي مَعَهَا حَدِّثِيهِ/ اسْتَمِعِي مَاذَا يَقُولُ/عَرِّفِيهِ...

والملاحظ أنَّ هاته الصِّيغ جاءت بصيغة الأمر كصيغة مختصرة تجيبها بالكفاف عن الفعل والتوقُّف، ولعلَّ هذا التنوُّع بين الأفعال الماضية في قالت، قلت ....، وفعل الأمر في الحوار القائم بين الرَّاوي والثريا وصاحباتها، أدى إلى ديناميكية متصاعدة وتفاعل درامي مستمر كما يوضح الجدول التَّالي:

أطراف الحوار	جمل حواريَّة مباشرة	جمل حوارية غير مباشرة
الشَّاعر البطل والطَّلل	يَا صَاحِبَيَّ قِفَا نَسْتَخْبِرُ الطَّلَلاَ قَالَ لِي الرَّبْعُ	
الثُّريا وصاحبتها		قَالَتْ عَلَى رِقْبَةٍ يَوْمًا لِجَارَتِهَا مَا تَأْمُرِينَ ؟ هَلْ لِي اليَوْمَ مِنْ أُخْتِ مُوَاسِيَةٍ إِقْنِي حَيَاءَكِ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ لاَ تُظْهِرِي حُبَّهُ، حَتَّى أُرَاجِعَهُ قَالَتْ لِلَتِّي مَعَهَا: بِاللهِ لَوْمِيهِ حَدِّثِيهِ بِمَا حُدِّثْتُ وَاسْتَمِعِي مَاذَا يَقُولُ عَرِّفِيهِ كَالهَزْلِ وَاحْتَفِظِي
الشاعر البطل وصاحبة الثريا	قُلْتُ: اسْمَعِي لَقَدْ أُبْلِغْتُ فِي لَطْفٍ مَا إِنْ أُطَعْتِ بِهَا بِالغَيبِ	الحَدِيثَ الَّذِي قَالَتْ أُوتِيتُ بِهِ

وهذا إن دلَّ على شيء، إنَّما يدلُّ على تحكُّم الشَّاعر السَّارد في قالبه السَّردي داخل القصيدة، وأيضا تحكُّمه في أفعال الشَّخصيات وملاءمتها لكلِّ حدث.

3.3 . الشَّخصيَّات:

تعدُّ الشَّخصية محور العمل السَّردي وهي النَّاطق الحي والمعبِّر عن القصة، إذ تنقلها إلى القارئ وتسوقها له، كما ترتبط بالزَّمان والمكان حاملة أفكار السارد، فلا شخصيَّات دون حوار ولا حوار من دون شخصيَّات، إذ يرتبطان ببعضهما البعض ارتباطا وثيقا.

وتعرَّف الشخصيَّة بأنَّها "موضوع القصيدة السَّردية، وهي مجموع الصِّفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال حكي" [14].

وظَّف شاعرنا في قصيدته العمرية عدَّة شخصيَّات فعَّل بها قصيدته ونمى بها سيرورة الأحداث، كما أنطقها وبعث الرُّوح في النص بهاتة الحوارية، ونميز بين شخصيات رئيسية محورية وشخصيات ثانوية أو مساعدة في توسيع بؤرة الحدث وتجلّي المعاني.

أ. **شخصيَّات رئيسيَّة:** وهم أبطال العمل السَّردي الشِّعري ويمثِّلهم كل من الشَّاعر الرَّاوي "عمر بن أبي ربيعة" وحبيبته "الثريا"، إذ تتمحور القصيدة حول حب عمر للثُّريا وحزنه على رحيلها، حيث يعمل البطل السَّارد على وصف الأحداث، كما يتيح للشَّخصية الثانية البروز من أجل استمرار حركيَّة السَّرد بالتَّناوب:

البطل: "عمر" شخصية الشَّاعر الرَّاوي السَّارد المحب.

البطلة: "الثريا" امرأة جميلة فاتنة ترحل مع قبيلتها وتترك محبوبها عمر بعد خصام.

يسيطر الشَّاعر على حركة السَّرد منذ البداية إذ يسأل الطَّلل عن المحبوبة بضمير الـ"نحن" يتقاسم معه أحزانه ويُؤَنْسِنُه ويتخيل جوابه، يبقى شاعرنا متأرجحا بين ضمير الـ"هي" والـ"نحن" في حواره مع الطَّلل ليستقرَّ عند ضمير الأنثوي الغائب، وهي البطلة "الثريَّا" متذكِّرا صفاتها واصفا جمالها وساردا بعض خصالها التي تأسر الألباب، يقول مخاطبا الطَّلل:

يَا صَاحِبَيَّ قِفَا نَسْتَخْبِرُ الطَّلَلَا عَنْ بَعْضِ مَنْ حَلَّهُ بِالأَمْسِ مَا فَعَلَا
[15]فَقَالَ لِي الرَّبْعُ لَمَّا أَنْ وقَفْتُ بِهِ إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدَّ البَيْنَ فَاحْتَمَلَا

ثم يصف محبوبته قائلا:

قَامَتْ تَرَاءى لِحِينٍ سَاقَهُ قَدَرُ وَقَدْ نَرَى أَنَّهَا لَنْ تَسْبِقَ الأَجَلاَ
بِفَاحِمٍ مُكْرَعٍ سُودٍ غَدَائِرُهُ تَثْنِي عَلَى المَتْنِ مِنْهُ وَارِدًا، جَثِلَا
وَمُقْلَتَيْ نَعْجَةٍ أَدْمَاءَ أَسْلَمَهَا أَحْوَى المَدَامِعُ طَاوِي الكَشْحِ قَدْ خُذِلاَ[16]

لينتقل إلى:

ب. **الشَّخصيَّات المساعدة:** في النص السردي الشعري، وهن صويحبات البطلة اللاَّتي ساعدن في توجيه حركيَّة السرد، حيث عملت هاته الشخصيات على تهوين الأمر وتبسيط الوضع، بالاستفسار أثناء مساءلة الشاعر في ذروة الحبكة حين تأزُّم الوضع والبحث عن حل.

صحب الشاعر: إذ ساندوه في محنته ووقفوا معه على درس المنزل وذكريات الحزن.

صويحبات البطلة: وهنَّ من كنَّ معها في الرَّكب أثناء الرحيل، حيث طلبت منهنَّ البطلة المساعدة والنَّصح فامتثلن لها بالحديث للشاعر والاستفهام منه.

الوشاة والكاشحين: هم من سبَّبوا الهجر والفراق بين البطل والبطلة بالكذب والحيل.

ومن هنا ساهمت هذه الشخصيات، بشكليها الرئيسي والمساعد على تبيان تشكيلة النص السَّردية المتماسكة، حيث ساعد جانبه السَّردي والحواري فيه على إخراجه بنية متكاملة، ولا يغيب عن ذهننا مقدرة الشَّاعر البلاغيَّة والأسلوبيَّة في ترويض فنِّ السَّرد داخل قالب الشِّعر .

4.3. الزَّمكانية:

يشكِّل الزَّمان والمكان عنصرين أساسيَّين من عناصر السَّرد الأدبي، حيث لا يستقيم السَّرد بغياب أحدهما، كما أن العلاقة بينهما علاقة ارتباط وثيق وتكامل، إذ لا يمكن الفصل بينهما، وقد تبنى الكثير من النقاد البحث في هذا المفهوم، وعلى رأسهم " باختين" الّذي رأى أنَّ " الفصل بين الفعل والزمن أمر مستحيل، لأن الزَّمن هو البعد الرابع للمكان"[17]، مؤسِّسا في ذلك لنظريَّته الحواريَّة منطلقا من نظرية أينشتاين النسبية، حيث يرى أنَّ العلاقة بين المكان والزَّمان علاقة حتمية ولزومية لا يمكن الفصل بينهما فكلاهما يعبر عن وجود الآخر.

والمكان هو "الإطار الذي تقع فيه الأحداث"[18]، ولم تخرج أماكن تغنِّي الشُّعراء قديما عن الجبال والأطلال والصَّحاري، لأنَّها كانت متنفس الشاعر و المستمعة لأحزانه وآلامه، وفي قصيدتنا العمرية وثَّق الشَّاعر ارتباطه بالمكان منذ القديم، حيث خاطب الطَّلل البالي شاكيا هجرة محبوبته، فالطَّلل هنا يحمل دلالة مكانية وزمانية، فهو مكان مهجور يحمل ذكريات الزَّمن الماضي الذي ولىّ، والشَّاعر من خلاله يتأمَّل ماضيه، ويستنكر حاضره الذي يغوص في عوالم الهجر والرحيل، كما يوحي الزمن الماضي بظروف حياة ذلك العصر، وكيف تحول زمن الوصل إلى حاضر الفراق والابتعاد، والطَّلل هنا، مكان محدود مغلق مجرَّد من الوصف الهندسي لأنه اهتمَّ بالحدث، انطلق منه شاعرنا معبِّرا عن ذاته منعتقا من آلامه هادفا إلى مكان أكثر اتِّساعا وهو مكان للاستقرار النفسي والترويح عنها.

كما نلمس فضاءً سرديا عند حوار البطلة وصديقاتها إبَّان الاستعداد للرَّحيل، وهو ما اعتنقه شاعرنا في إحالة مباشرة لتحقيق المنى وعودة الوصال، وهو الأمل المرجو من خلال ذلك الحيِّز المكاني، أمَّا إذا التفتنا للزَّمن السَّردي في هاته القصيدة فنجد أنَّ شاعرنا الرَّاوي يسرد أحداثه عن طريق تقنية "الاسترجاع" "وهو مفارقة زمنية باتجاه الماضي انطلاقا من لحظة الحاضر، استدعاء حدث أو أكثر وقع قبل لحظة الحاضر"[19]، وهو ما دلَّت عليه الأفعال الماضية في مقولاته الشِّعرية، حيث أسَّس لتشكيله الدرامي بالوقوف على الطَّلل البالي وتذكُّر ماضيه ووصف حالاته وحواراته باسترجاعه أحداثاً حدثت بالماضي.

كما يوظِّف شاعرنا "الوقفة السَّرديَّة" وهي "حركة زمنية سرديَّة، مع الإغفال والمشهد والخلاصة والامتداد واحدة من السُّرعات السَّردية الأساسيَّة، كما أنَّها تقوم نتيجة للقيام بالوصف أو لتعليقات السَّارد الهامشية"[20] "حيث كثيرا ما كان يقف شاعرنا وقفته السَّردية بين الماضي والحاضر، وخاصَّة في وصف ذلك

الحوار الذي قام بين البطلة ثريا وصديقاتها، حول حقيقة مشاعر عمر وأمر الوشاة وبين صديقتها وعمر نفسه يقول:

صَدَّتْ بِعَادًا وَقَالَتْ لِلتِّي مَعَهَا: بِاللهِ لُومِيه فِي بَعْضِ الذِّي فَعَلاَ
وَعَرِّفِيهِ بِهِ كَالْهَزْلِ وَاحْتَفِظِي فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ أَنْ تُغْضِبِي الرَّجُلا[21]

كما يوظّف تقنية "الاستباق" والترقُّب في سرده الشِّعري، "وهو مفارقة زمنية تتجه نحو استدعاء حدث أو أكثر، سوف يقع بعد لحظة الحاضر، وهي اللَّحظة التي ينقطع عندها السَّرد التَّتابعي الزمني للأحدث" [22]

يقول على لسان البطلة المحبوبة:

وَحَدِّثِيه بِمَا حُدِّثْتِ وَاسْتَمِعِي مَاذَا يَقُولُ، وَلاَ تَعْسَبِي بِهِ جَدَلَا
حَتَّى يَرَى أَنَّ مَا قَالَ الوُشَاةُ لَهُ فِينَا، لَدَيْهِ إِلَيْنَا كُلُّهُ نُقِلَا[23]

الشَّاعر يستبق الأحداث ويستفهم ويترقَّب الجواب في المستقبل القريب، ولعلَّ هذا ما دلَّت عليه الأفعال المختلفة من فعل أمر محقَّق بتحقيق الطَّلب وهو "الحديث والاستماع" وغيرها من الأفعال الآمرة: (عرّفيه، احتفظي، اسمعي)، كما دلَّت الأفعال المضارعة (يرى، يحفظه، يكره، يخفى، نرى) على الأحداث القادمة واستباقها، وقد تشكَّلت معالم هاته القصَّة السَّردية، من خلال ذلك الحوار الدرامي الذِّي نشأ عن صراع زمني بين الماضي والحاضر والمستقبل، فمن استرجاع للماضي مع الطَّلل إلى وقفة مع الحاضر في ذروة الحبكة ثم انفراج للأزمة مع ترقُّب الجواب ووصف الحالة، إنَّ العلاقة بين الزَّمان والمكان علاقة متينة متكاملة ومتداخلة، وهما وجهان لعملة واحدة هي الحلَّة السَّردية، ويستحيل العثور في السَّرد على إحداهما دون الأخرى.

4. الخاتمة:

من خلال هاته الدراسة نستنتج ما يلي:

- إنَّ البحث عن التَّشكيل السَّردي في الشعر العربي القديم، قادنا للبحث في خصائص السَّرد القصصي وآليَّاته من حدث وشخصيات وحوار ومكان وزمان.
-أبرز التَّشكيل السَّردي من خلال النَّص، تلك العلائقية بين مكوِّنات النَّص السَّردي الشِّعري، التِّي شكَّلت صورته الدرامية.
- يعدُّ الطَّلل معامل موضوعاتي للهجر والتَّذكر وهو عملة ذو وجهين الزَّمان والمكان إذ لا يمكن الفصل بينهما.
- يعدُّ الحوار أهم تقنيَّة وخاصيَّة تميَّز بها شعر "عمر ابن أبي ربيعة" وبرع في ذلك على خلاف أبناء جيله.

- تَدرَّج الرَّاوي في قالبه السَّردي الشِّعري، من الحدث إلى العقدة فالحل، مع حسن التصرف في الزَّمن بين الاسترجاع والوقفة والاستباق، مما منح تسلسلا في الوصف والأحداث.
- أحسن الشاعر تقمُّص دور البطل الرَّاوي إذ أتقن توزيع الأدوار على شخصياَّته، دون المساس بقالب القصيدة العمودي وهي ميزة عمر بن أبي ربيعة.
- إنَّ المزج بين الشعر وآليَّات السَّرد لم يزد النص الشِّعري إلاّ جماليَّة وشعريَّة كما لم يخل بخصوصيتها العمودية.

هوامش:

[1] يوسف وغليسي، 2007، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،ص71

[2] عبد الناصر هلال، 2006، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، ص25.

[3] رولان بارث، 1988، النقد البنوي للحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، بيروت، ط1،ص89 .

[4] جيرالد برانس، 2003، المصطلح السردي تر: عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة،ص145

[5] عبد المالك مرتاض، 1998، في نظرية الأدب، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، ص256.

[6] سعيد يقطين، 2012، السرد العربي مفاهيم وتجليات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1.

[7] حميد الحمداني، 1991، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط، ص45.

[8] محمد صابر عبيد، 2011، التشكيل السردي المصطلح والإجراء، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ص22.

[9] مجموعة مؤلفين، 2010، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1، ص145.

[10] عمر بن أبي ربيعة، دت، الديوان، تح وشر إبراهيم الأعرابي، مكتبة صادر، بيروت لبنان، ص335.

[11] المصدر السابق: ص336.

[12] سعيد علوش، 1985، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، ص79. .

[13] عمر ابن أبي ربيعة: الديوان، ص335.

[14] تزفيتان تودوروف، 2005/2000، مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1،

[15] عمر بن أبي ربيعة: الديوان، ص،335.

[16] المصدر نفسه: ص336،335.

[17] ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، 2002 دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من 70 تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، ص170. .

[18] سيزا القاسم، 1985، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، ص102.
[19] جيرالد برانس، 2003، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، ص16.
[20] المرجع نفسه: ص 169.
[21] عمر بن أبي ربيعة: الديوان، ص336.
[22] جيرالد برانس: قاموس السرديات، ص157.
[23] عمر بن أبي ربيعة: الديوان، ص336.

6. قائمة المراجع

1. يوسف وغليسي، 2007، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1.
2. عبد الناصر هلال، 2006، آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1.
3. رولان بارث، 1988، النقد البنوي للحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، بيروت، ط1.
4. جيرالد برانس، 2003، المصطلح السردي تر: عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة.
5. عبد المالك مرتاض، 1998، في نظرية الأدب، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت.
6. سعيد يقطين، 2012، السرد العربي مفاهيم وتجليات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1 .
7. حميد الحمداني، 1991، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
8. محمد صابر عبيد، 2011، التشكيل السردي المصطلح والإجراء، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا .
9. مجموعة مؤلفين، 2010، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين، ط1.
10. عمر بن أبي ربيعة، دت، الديوان، تح وشر إبراهيم الأعرابي، مكتبة صادر، بيروت لبنان.
11. سعيد علوش، 1985، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1.
12. تزفيتان تودوروف، 2005/2000، مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، ط1.
13. ميجان الرويلي ود. سعد البازعي، 2002 دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من 70 تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3.
14. سيزا القاسم، 1985، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1.
15. جيرالد برانس، 2003، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1.